تشاد تحت المجهر

33

حسن أبو يوسف الدويهي

تشـــاد تحت المجهر

تبدأ قصة « تشاد » قديماً جداً يعود بها المؤرخون والكتاب والمحللون لوضعها الحالى إلى ما قبل أكثر من قرن حيث بدأت طلائع القوات الفرنسية الغازية سنة ١٨٥٠ م تضع أقدامها على أرض تشاد . توالت على أثرها البعثات العسكرية الاستكشافية من فرنسا إلى تشاد كانت أولها سنة ١٨٩٠ م في محاولة استعمارية سخيفة تستهدف المسح الشامل لأراضى « تشاد » قصد التمركز النهائي فيها وافناء الشعب التشادى . .

وظهر الصراع الاستعمارى واضحاً في رسم الحدود التى تحـــدد معالم « تشـــاد » شـــأنها في ذلك شأن جميع الدول الأفريقية وتقسيمها إلى مستعمرات أوربية فظهر سنة ١٨٩٣ م اتفاق بين ألمانيا وانجلترا . . دون علم فرنسا . على رسم الحدود بين « الكاميرون » و« تشاد » كما هى عليه اليوم .. وفي سنة ١٨٩٤ م كانت مفاوضات « برلين » حول تحديد « الممتلكات » الفرنسية والألمانية في أفريقيا

ففى ١٥ مارس تم تحديد ما يسمى اليوم « منقار البطة » وهو شكل منطقة الكاميرون تقع بين جنوب تشاد وشرق نيجيريا .

غير ان مطامع فرنسا الاستعمارية جعلها تتقدم حتى شارفت على مناطق النفوذ الاستعمارى البريطاني ، وبعد صراع عنيف وقعت الدولتان الاستعماريتان اتفاقاً فيما بينهما سنة ١٨٩٩ م اعترفت فيه بريطانيا بحق فرنسا في السيطرة على مناطق «كانم» و« باجرمى » و« تبيستى» ..

اننا لانريد هنا الخوض طويلا في فترة استعمارية نشاهد آثارها إلى يومنا هذا ويكفى أن نقول : —

ان « تشاد » كانت مستعمرة فرنسية وفرنسا لا تختلف عن أى مستعمر آخر فقد تركت في تشاد بذور الشقاق والخلاف بين مختلف القبائل وبين الشمال والجنوب مما جعل الهوة بين أفراد الشعب التشادى متباعدة الأمر الذى تحكم بعقليات التشاديين حتى بعد الانسحاب الفرنسى الصورى من تشاد .

ان ما حدث في « تشاد » لا يختلف عما يحدث في أى بلاد مستعمرة بمعنى أن عملية استقلال « تشاد » الذى أعلن عنه في يونية ١٩٦٠ م هى عملية استقلال مزيفة تمثلت في تنصيب « فرانسواتومبلباى» وأوكلت إليه مهمة تغذية النعرات القبلية وممارسة الاضطهاد والتفرقة العنصرية ضد العرب المسلمين وتجويعهم واهمالهم وتقتيلهم .

لقد رأى ابناء الشمال من المسلمون ان المسيحيين من أبناء الجنوب « السارا » قد نالوا نصيباً وافراً من التعليم والوظائف الادارية والسيطرة على شؤون البلاد السياسية والتشريعية والثقافية والاقتصادية ، وبذلك صار الصراع بين الشمال والجنوب ، بين الأغلبية « المسلمة » والأقلية « المسيحية » . . واتضحت هـــوية « نظام انجامينا » في عهد « فرنسوا تومبلباى » عندما قام حزبه « الحزب التقدمى التشادى» الحاكم في نوفمبر سنة ١٩٦٠ م بتعديل الدستور واعتماد اللغة الفرنسية كلغة رسمية ، ثم أصدر تمبلباى في فبراير ١٩٦٢ م قراراً يقضى بحل كل الأحزاب

القائمة وضمها في « الحزب التقدمى التشادى» واعلان تشاد دولة الحزب الواحد .

في ظـــل هـــذه الأوضاع السيئة من انقسام يمزق أوصال البلاد وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وظهور الفساد والانحلال الأخلاقي نتيجة للثقافات المستوردة يصبح قيام الثورة أمراً محتماً .. وهكذا اشتدت المعارضة الشعبية متسمة بطابع العنف ضد نظام « تمبلباى» .

وظهرت على السطح الشعبي التشادى الجبهة الوطنية لتحرير تشاد « فرولينا » .. والحقيقة ان « فرولينا » تأسست منذ عام ١٩٦٢ م ثم أعيد انشاؤها في ١٩٦٦ م بمدينة « نيالا» بالسودان في اجتماع سرى بين عدة أحزاب مختلفة شملت كلا من بقية أعضاء «حزب الاتحاد الوطنى التشادى» الذى أسسه « إبراهيم اباتشا » . وقادة « الاتحاد العام لابناء تشاد » وكذلك « الحركة الوطنية لتحرير تشاد » وأسندت فيه أمانة الجبهة « فرولينا » لإبراهيم اباتشا ... وقد اكتسبت جبهة « فرولينا » رصيداً شعبياً هائلا واستطاعت ان توجه عناصرها الى الداخل في عملية تعرية النظام الحاكم

أمام الجماهير التشادية .. ان أهداف « فرولينا » التى تحددت آنذاك ولا زالت تتمسك بها قيادات الجبهة تمثلت في : —

١ — القضاء على النظام الدكتاتورى وجلاء القوات الأجنبية عن تراب تشاد واقامة حكم ديمقراطى يكفل حقوق كل المواطنين . .

٢ — بناء اقتصاد وطنى مستقل .

٣ — جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد .

٤ — تصفية النفوذ الاستعمارى والصهيوني في تشاد .

وفي ١٩٧٥م قام « فيلكس مالوم » وهو مسيحى من الجنوب بانقلاب عسكرى أطاح بحكم « تمبلباى » الا أن ذلك لم يغير من الوضع شيئاً فانقلاب « مالوم » كان انقلاباً موالياً لفرنسا وكان مجرد تغيير في موظفى الادارة الامبريالية الفرنسية الامر الذى جعل هجمات ثوار « فرولينا » تشتد ضد حكمه .

واستطاع « حسين حبرى » أن يصبح رئيس حكومة تحت حكم « مالوم » وعمل على تحويل رئيسه « مالوم »

إلى مجرد واجهة ، كما سعى إلى الاستئثار بالسلطة من جهة وبرضا فرنسا من جهة أخرى ، واثر اضراب عام في انجامينا في ١١ فبراير ١٩٧٩ م نظمته أحزاب الحكومة استدعى « مالوم » المرتزقة الفرنسيين بينما استدعى «حبرى» الجيش النظامى الفرنسى بحجة انه غير قادر على ضمان مصير الرعايا الفرنسيين الموجودين في حمايته وبالفعل تدخلت فرنسا إلى جانب «حبرى» .

وازاء هذه التطورات كان مؤتمر « لاغوس » لاجراء مصالحة جماعية بين الأطراف المتنازعة خصوصاً بعدأن تم الضغط على « مالوم » خلال مؤتمر «كانو» الثاني واضطر للتنازل عن الرئاسة . . وقد تحقق بالفعل مؤتمر « لاغوس » في نوفمبر ١٩٧٩ م وتكونت «حكومة الاتحاد الوطنى الانتقالية » برئاسة «كوكوني وداى» ومنح « عبد القادر كاموجى » منصب نائب الرئيس و«حبرى» وزيراً للدفاع و« أصيل أحمد » وزيراً للخارجية .

ولكن «حسين حبرى» لم يلتزم ببنود الاتفاقية وبدأ بالفعل في تحركات مشبوهة داخل الجيش ثم تطورت

خطواته إلى فتح النار على قوات « حكومة الاتحاد الوطنى » في محاولة انقلابية منه لاستلام السلطة والتمرد على الحكومة الشرعية « حكومة الاتحاد الوطنى الانتقالية » وسرعان ما احتضنت هذا التمرد « فرنسا – مصر – السودان – الكيان العنصرى الصهيوني» .

جهود الجماهيرية لحل قضية تشاد :–

لعل من أبرز الادوار التى لعبتها الجماهيرية على الاطلاق في القارة الأفريقية دورها في تدعيم حرية واستقلال جمهورية تشاد ، فقد بذلت الجماهيرية كل ما في وسعها لايجاد حل لمشكل تشاد ، وذلك انطلاقاً من ايمانها الراسخ بان قضايا ومشاكل أفريقيا يجب أن تحل أفريقيا ويجب ألا يسمح للقوى الاجنبية بالتدخل في مشاكل القارة .

ومن هذا المنطلق بدأت مساعى الجماهيرية لتحقيق مصالحة بين الأطراف المتنازعة في تشاد وعقد مؤتمر « سبها » سنة ١٩٧٨ م بمشاركة الأخ قائد الثورة « معمر القذافي» ورئيس جمهورية النيجر « حسين كونشى» وأبو القاسم إبراهيم النائب الأول للرئيس السوداني .. ثم أعقبه مؤتمر

« بنغازى» حيث اتفق في هذا المؤتمر على وقف اطلاق النار على الساحة التشادية .

في ١٩٧٨/٧/٧ م عقد مؤتمر طرابلس لاتمام المصالحة الوطنية ولكن رئيس الوفد الحكومى التشادى رفض تماماً مناقشة حتى الموضوع معتقداً أن قوات الحكومة التشادية قادرة على القضاء على قوات الثورة التشادية .

ثم كان مؤتمر « لاغوس » الذى أثمر عن تشكل حكومة وطنية تشادية انتقالية برئاسة «كوكوني وداى» وبجهود مثمرة من الجماهيرية أثنت عليها جميع الأطراف التشادية لما لها من دور في خدمة مصالح الشعب التشادى .

ولكن « حسين حبرى» قام بالتمرد على الحكومة الشرعية وانفجر الموقف من جديد في تشاد قام بعدها «كوكوني وداى » الرئيس الشرعى لتشاد عقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الجماهيرية في ١٥ يونيو ١٩٨٠ م تدخلت على أثرها قو ات السلام العربية الليبية التى أشاعت السلام في تشاد لأول مرة بعد أكثر من عشرين سنة ..

وحاولت وسائل الاعلام الامبريالى تشويه مهمة قوات السلام العربية الليبية بشتى الصور التى تبرزها كقوات غازية ذات مطامع « استعمارية » إلا أن اتهاماتها المغرضة تحطمت وأصبحت مجرد ترهات وصفاقات ليس إلا فالقوات العربية الليبية انسحبت فوراً بمجرد أن طلبت الحكومة الوطنية التشادية الانتقالية الشرعية ذلك ؛

كما أن الادعاءات التى تتشدق بمطامع العوب الليبيين في قطاع « أوزو » كما يحلو لوسائل الاعلام الغربي الامبريالى أن تطلق ذلك عليه ... هى ادعاءات واهية ذلك أن « أوزو» أرض عربية ليبية وان ضمت فرنسا ذلك الجزء إلى أملاكها الاستعمارية حسب اتفاق استعمارى فرنسى بريطاني سنة ١٨٩٩ م والذى اعترفت فيه بريطانيا بحق فر نسا في السيطرة على مناطق « كانم » و« باجرمى» و« تيبستى »

ثم ان فرنسا والقوى الامبريالية لم تعترض يوم ان اعترف عميلها « تومبلباى» وفق مواثيق مكتوبة على حق الجماهيرية في « أوزو» سنة ١٩٧٣ م .

ان السؤال الذى يجب أن توجهه القوى الامبريالية

وأذيالها الرجعية العربية والأفريقية قبل أن توجه اتهاماتها تلك إلى الشعب العربي الليبي هو :

لماذا هي هناك في تشاد ؟ .

وتحاول سلطات « الاليزيه » ان تبرر سبب تواجد قواتها فوق أراضى « تشاد » بناءاً على تطبيق اتفاق عام وقع سنة ١٩٧٦ م بين فرنسا وحكومة تشاد آنذاك وهذا ما أبرزته أخيراً وزارة الدفاع الفرنسية ... ويتضح تماماً مدى فقدان سلطات « الاليزيه » لأى حجة بشأن تواجد قواتها في « تشاد » ذلك أن : —

هذا الاتفاق قد وقع أيام حكم « مالوم » وان التطورات التى استجدت على الساحة التشادية قد أدت إلى اسقاط « مالوم » وحكومته وظهور حكومة الوحدة الوطنية التشادية برئاسة «كوكوني وداى » ... ثم أن الاتفاق الفرنسى التشادى سنة ١٩٧٦ م ينص في بنوده « على أن ترسل الحكومة الفرنسية بناء على طلب حكومة تشاد وفي حدود طاقتها موظفين عسكريين فرنسيين لتنظيم وتدريب القوات المسلحة في تشاد » .

والمادة الرابعة من الاتفاق تمنع أولئك من الاشتراك مباشرة في تنفيذ عمليات الحرب ... وانه لو جاز اعتبار تلك الاتفاقية سارية المفعول رغم فقدانها لمبرر استمرار العمل بها حالياً فإننا نجد أن كل ما تم من تدخل فرنسى سافر في شئون تشاد الداخلية يتعارض تماماً مع بنود تلك الاتفاقية من حيث : ــ

ان الاتفاقية تنص على ارسال موظفين عسكريين فرنسيين يقتصر دورهم على تدريب القوات المسلحة التشادية وليس ارسال عساكر أفراد مجهزين بأحدث أنواع الأسلحة .

ان الاتفاقية تنص على منع الموظفين العسكريين الفرنسيين من الاشتراك مباشرة في تنفيذ عمليات الحرب الا أنه في ظل الظروف التى شهدتها وتشهدها الساحة التشادية الآن تؤكد ان ذلك المنع هو مجرد منع نظرى ليس إلا ...

ان السؤال الأهم هو : ــ لماذا موقف الجماهيرية هذا المناصر للجبهة الوطنية الشعبية التشادية « فرولينا » والحكومة الوطنية التشادية الانتقالية برئاسة «كوكوني عويدى » ...

أولا : — من الناحية التقليدية :—

ونقصد بالناحية التقليدية الآراء التى استقر عليها القانون الدولى والأعراف الدولية التى سارت عليها المجموعة الدولية في التعامل فيما بينها . . .

— فمن ناحية « حق كل شعب في تقرير مصيره » والتى ضمنها القانون الدولى وأدرجتها الأمم المتحدة في ميثاقها في الفقرة الثانية من المادة الأولى والتى تبين بوضوح ان العلاقات الودية بين الدول يجب أن تقوم على أساس احترام حقوق المساواة واحترام حق تقرير المصير لشعوب العالم ... فإنه من هذه الناحية نجد ضمنياً ان الشعب التشادى يرتبط بالجبهة الشعبية الوطنية لتحرير تشاد « فرولينا » وحكومة الوحدة الوطنية التشادية الانتقالية والتى تضم أغلبية الجبهات والأجنحة والأحزاب ..

— ومن ناحية « الشرعية » فإن الحكومة الوطنية التشادية الانتقالية برئاسة « كوكوني وداى » هى الحكومة الشرعية في تشاد .. وحتى وان حدث ان اعترفت بعض الأنظمة

الأفريقية بحكومة « أنجامينا » وحاولت صبغ نظام « حبرى» بصبغة الشرعية الا أن اعتراف تلك الأنظمة الأفريقية بـ « حبرى» هو نتيجة مواقف سياسية رخيصة مفروضة على تلك الأنظمة من الخارج وربما تحت الاكراه الأمر الذى يعنى أن تلك الأنظمة تفتقد أصلا لمبدأ السيادة والاستقلال السياسى والاقتصادى بمعناه الحقيقى . .

ـ ان الشعب العربي الليبى الذى يتمسك في وثيقة اعلان قيام سلطة الشعب بالحرية ويبدى استعداده للدفاع عنها فوق أرضه ، وفي أى مكان من العالم وحمايته للمضطهدين من أجلها .. لايمكن أن يتخاذل في تأييد حق الشعب التشادى في الحرية فوق أرضه خاصة وان الحكومة الوطنية التشادية الانتقالية الشرعية قد طلبت ذلك منه .

ثانياً : من الناحية الثورية : ـ

وحين نقول من الناحية الثورية فإننا نتحدث من موقع الثورة لا من موقع السلطة . . من موقع الثورة والأخلاق والقيم الثورية .... من موقع الثورة المنحاز أبداً للجماهير الشعبية في كل مكان من هذا العالم ...

ـ ان ثورة « فرولينا » هى ثورة حقيقية تشكل بؤرة ثورية في القارة الأفريقية ويتضح ذلك من خلال أهدافها :ـ التى تتضمن :ـ

١ ـ القضاء على النظام الدكتاتورى وجلاء القوات الأجنبية عن تراب تشاد واقامة حكم ديمقراطى يكفل حقوق كل المواطنين .

٢ ـ بناء اقتصاد وطنى مستقل .

٣ ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية .

٤ ـ تصفية النفوذ الاستعمارى والصهيوني في تشاد .

ـ انه إذا كانت ثورة « فرولينا » ثورة حقيقية فإننا بطبيعة الحال لايمكن لنا أن نخون قضية الثورة في أى مكان وان نقف مع « حبرى» وان نلتزم بمواقف سياسية رخيصة موحى بها من الخارج ذلك ان « حبرى» اتضحت نواياه الحقيقية في خيانة « الثورة » وانحيازه إلى جانب القوى الاستعمارية ضد الجماهير الشعبية التشادية والأفريقية .. فهو يهدف فقط إلى الحصول على مركز سلطوى ولو على جبل من جماجم الشعب التشادى .

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية

حسن أبو يوسف اللويشي

حسن أبو يوسف اللويشي